

المغازي في الشعر الشعبي الجزائري.

Maghazi in Algerian popular poetry

د- بولرياح عثمانى - جامعة الأغواط -

bouotmani@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/12/25.	تاريخ القبول: 2019/11/28	تاريخ الإرسال: 2019/10/19
--------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تتبع واستكناه شعر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، في الشعر الشعبي الجزائري وما قيل في تلك المعارك الخالدة التي قضت على ظلمات الأوثان، فصورت حقبة زمنية بأنامل شعرية دينية، ونفحات إيمانية حفلت بروح الحماسة، والعزيمة، والتضحيات الجسيمة التي هدفت إلى الدفاع على روح الإسلام، ومواجهة خصومه والتصدي لشركهم في كل الأشعار التي نظموها للإساءة إلى هذا الدين الإسلامي الصحيح.

الكلمات المفتاحية : الغزوات، الدفاع، في الشعر الشعبي الجزائري.

Abstract :

This research paper seeks to track and dwell the poetry of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in Algerian popular poetry and what was said in those immortal battles that eliminated the darkness of idols. To defend the spirit of Islam, confront its opponents and confront their evil in all the poems they organized to offend this true Islamic religion.

Key words: Invasions, defense, in Algerian popular poetry.

1- شعر المغازي:

كتب الشاعر الشعبي في المغازي⁽¹⁾ و برع في إبداعه من خلال يقينه الإيماني ونفوذه الوجداني الذي تحمس لسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم خاصة ما تعلق بفتوحاته وغزواته المباركة، وذلك من خلال سرد البطولات والغزوات الإسلامية، مع ذكر

الصحابة وإدخالهم في جو عجيب وخارق للعادة، فيتداخل فيها الجانبان التاريخي والخرافي إلى حدٍ بعيد، فيصبح بذلك الاعتماد على المعلومات التاريخية أمراً مهماً ومادة خام، وما دامت هذه القصص (المغازي) تحمل معالم تاريخية فهي تلمح إلى الحالة السياسية والاجتماعية للمجتمع وكذا البيئة التي كتبت فيها.

وابن الحرمة تحدث في مغازيه الشعرية عن وقائع الفتوحات الإسلامية وتناول بطولات الفاتحين، ومعاركهم البطولية التي خاضوها ضد جيوش الروم أثناء فتحهم لشمال إفريقيا تحت إمارة الصحابي الحليل عقبة بن نافع الفهري.

وقد أدى هذا اللون من الشعر دوراً بارزاً تمثل في تهيئة النفوس لمقاومة الاستعمار طيلة فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما كان له مكانة بارزة حظي بها في الوسط الشعبي.

والحقيقة أن جذور هذا اللون من الرواية الشفهية يعود إلى تاريخ أبعد من ذلك، إنه يعود إلى ظهور الإسلام وبزوغ فجره على العالم " وهو أحد الحوادث العالمية الكبرى التي فجرت عصر البطولة وأدب البطولة "(2).

وإذا كان ارتباط شعر المغازي بمرحلة تاريخية معينة، فإنّ الشاعر جسّد هذه المرحلة في قصائده الشعرية التي يصور فيها بطولات وأجناد فاتحي المغرب العربي، وهو بذلك يحاول أن تستعيد الأمة مجدها العريق الذي طويت صفحته وما عاد لها ذكرٌ ولا تذكر.

ولكن وبعد الغزو الفرنسي للجزائر كان لازماً علينا أن نتذكر الانتصارات الماضية حتى تكون دافعاً ومحفزاً للقضاء على كل أشكال الاستعمار الفرنسي.

وفي شعر ابن الحرمة كما ذكرنا نماذج تمثل نموذجاً من هذه الغزوات التي صاغها الشاعر في قالب شعري، ومن بينها قصيدته الموسومة بـ (صلوا صلوا على النبي بن يمينه)⁽³⁾ والتي يفوق عدد أبياتها الثلاث مئة بيت، ويستهلها الشاعر كعادته بالصلاة على النبي، ثم يبدأ في رواية قصة وصول الجيش الإسلامي إلى بلاد تونس وبناء مدينة القيروان، ثم يصور دعوة ملك مدينة المهدية للإسلام وبعد ذلك يبين الشاعر كيف تم إرسال عبد الله بن جعفر⁽⁴⁾ (رضي الله عنه) إلى الملك الأكبر بتونس من قبل الفاتح عقبة بن نافع، وذلك من أجل عرض شروط الفاتحين، ليروي بعدها الشاعر الواقعة التي حدثت بين المسلمين والنصارى، الذين تعقبوا عبد الله بن جعفر بعدما خرج من مدينة تونس متخفياً، وفي صحبته ابنة الملك التي تزوجها بعدما أحبته وتعلقت به حينما شاهده وهو يخرج من قصر الملك، هذه الأحداث يلخصها الشاعر في قوله :

صَلُّوا صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ بَنِ يَمِينَةٍ * فِي الْقِيَامَةِ الْهَاشِمِي يَشْفَعُ فِينَا

قِصَّة لَصَحَابِ يَوْمِ خَرَجُوا الْكُفَارَ ** سَتَيْنَ أَلْفَ مَنْ تَرَابِ الْمَدِينَةِ

فِيهِمْ عَقْبَةُ الْمِيرِ⁽⁵⁾ سَبَقَ شَاؤُ أَنْهَارَ ** فِي حُرْمَةِ صَاحِبُوا الْهَادِي نَيْنَا

لينتقل بعدها الشاعر إلى تصوير مشهد وصول الجيش إلى أرض إفريقيا (تونس) وكيف أمرهم ببناء مساكن للبنين والنساء، مشيراً إلى الموضع الذي نزل فيه عقبة وجيشه، هذا المكان الذي كان حسب الروايات كثير الأشجار وكثيف النباتات، إذ أمر الحيوانات التي كانت تسكنه أن تغادره لأنه يحرق أشجاره وكل ما فيهما ليقيم على أرضهم مدينته، وقد أطاعته الحيوانات جميعها وقام الجيش ببناء مدينة القيروان.

هذه الأحداث صاغها الشاعر في قوله :

نَزَلُوا فِي الْقَيْرَوَانِ شَايْنَهُمْ وَشَبَابَ ** قَالُوا لِيَا الْمِيرِ نَبْنُوا قَصْرَ أَهْنَا

خَلَيْنَا⁽⁶⁾ بَزْنَا أَبْعِيدْ بِلَادَ تَحْكَارَ ** وَالسُّكْنَا فِي بِلَادِ كُفَارِ أَعْدَانَا

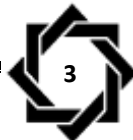
إِبْنُ لَيْنَا دِيَارَ وَحَصَّنَهَا بِأَسْوَارَ ** تَسْكُنُ فِيهَا أَوْلَادُنَا هِيَ وَأَنْسَانَا

قَالَلَّهُمْ غَيْرَ خُفْتُ نَحْرَقُ ذِي الْأَشْجَارَ ** نَدِي ذَنْبُ الْوُحُوشِ مَا جَتْنِي كَمْنَا⁽⁷⁾

وهكذا راح الشاعر يتابع أحداث القصة حدثاً وراء آخر.

فقد لاحظنا بعد الافتتاح كيف نزل الجيش الإسلامي القيروان والتي بنى فيها عقبة بن نافع مسجده، وفي هذا يقول الشاعر :

كِي عَيْطُ لِلْجَبَالِ جَاءُوا بِإِذْنِ الْقَهَّارَ ** سَمَاهُ الْقَيْرَوَانِ كَتَبُوا



وَالْجَامَعُ مَعَ دَارٍ فِيهِ مَنَبَرٌ ** مَن دَخَلُو تَتَمَحَى أَذُنُو

بعد هذه الحادثة يسرد علينا كيف أنّ ملك المهديّة قد دبر خديعة من أجل أن يجد متسعاً ليستعد هو وجنوده للحرب ثم بين كيف أنّ الأمر لا يخصه بل هو بيد الملك الأكبر بتونس. في هذه الأثناء قام عقبة بكتابة رسالة إلى الملك الأكبر يعرض عليه فيها شروط المسلمين، وينادي عقبة في المسلمين ويسألهم عن الرجل الذي يقوم بإبلاغ الملك بهذه الرسالة، فسكت الصحابة كلهم إلا عبد الله بن جعفر قال أنا لهذه المهمة، فيفرج عقبة بن نافع، ويذكره بأن هذه الخصال إنما هي من سلالتك بنو هاشم الذين ينزعون الغبن عن المغبون ويرفعون العناء والحن عن كل مبتلي مظلوم.

ليحمل عبد الله بن جعفر الرسالة إلى الملك الأكبر، ويخرج قاصداً مدينة تونس الخضراء، وعند وصوله إلى باب القصر يعترض سبيله حرس الملك ويمنعونه من الدخول، ولكنه وبعد أن يقدم نفسه لهم يؤذن له بالدخول. فيقول ابن الحرمة سارداً هذه الأحداث وملايساتها :

أَكْتُبُ عُقْبَةَ إِبْرِيْتُو⁽⁸⁾ وَالْغَى بَجَهَارٍ ** مَن يَدِي ذِي الْجَوَابِ يُدْخِلُ لِلْجَنَّةِ

سَكَّتْ لَصْحَابِ قَعٍ لَا مَن رَدَّ أَخْبَارٍ ** عَبْدُ اللَّهِ نَاضٍ قَالُو نَدِيَهُ أَنَا

قَالُوا لَا مِيرَ قَدْهَا هَمَّكَ حِيْدَارٍ ** بُنُو هَاشِمٍ إِنْفَرَجُوا كُلُّ أَغْيِنَا

عَبْدُ اللَّهِ وَدَعُوهُ شُورُ⁽⁹⁾ الْخَضْرَاءِ سَارٍ ** لِلْعَدُوِّ خَشْ بَابِ تُونَسٍ وَسَتْنَا

شَفُوهُ الْكَافِرِينَ شَرَّابَتِ لَحْمَارٍ ** قَرَّبَ⁽¹⁰⁾ يَا ضَيْفَ كَانِكَ مَن مَلَتْنَا



جِيتَ السُّلْطَانُكُمْ أَنْخَبِرْ بِلِي صَارَ ** بِمَا يُرْضِي اللَّهَ وَاللِّي تُرْضِينَا

بعد ذلك إِذْنٌ له بالدخول ورأته ابنة الملك فأعجبت بجماله وحسن منظره، فافتتنت به وفي داخل القصر دار حوار بين الملك الأكبر والصحابي عبد الله بن جعفر حول الدين الإسلامي والديانة المسيحية، وسئل الملك عبد الله عن الغرض من مجيء المسلمين إلى شمال إفريقيا، وما فعلوه في المشرق وانتهى بغضب الملك من عبد الله لجرأته وتطاوله، وكتب كتابا لعقبة يهدده فيه بالحرب :

يَشِيرُ⁽¹¹⁾ صَغِيرُ مَا تَحَيَّرَ ** حَارَتْ لَعَيَانُ فِي أَشْبَابُو

أَتَلَقَّاءَ اللَّعِينِ يُنْظَرُ ** وَالْوَزْرَةُ كَافَّةٌ أَتْرَهُو

هَذَا الْبَشِيرُ كَيْ أَمْنَوُزُ ** مُحَمَّدَ ظَنَّتِي أَقْرَبُو

وَالْكَافَرُ بِالْكَلامِ يَهْدَرُ⁽¹²⁾ ** يُشَمَّتُ فِي الدِّينِ شَطُّ لَعْبُو

عَيْسَى لَيْنَا قَدِيمُ يَاسَرُ⁽¹³⁾ ** مُحَمَّدَ عَنِّي أَجْدِيدُ نَسْبُو

عَبْدُ اللَّهِ مَا قَدَرْتُ يُصْبِرُ ** قَالَلَّهُمْ يَا كَلَابُ أَتَهْبُو

وَالْكَافَرُ ظَنَّتِي أَتَحَمَرُ ** قَتَارُو⁽¹⁴⁾ لِلْتَرَابِ حَرَبُو

أما في المشهد الذي رأت فيه ابنة الملك عبد الله وهام قلبها في هواه وكأنها لم ترد من الرجال أحداً سواه وتعلقت به وفي هذا يقول الشاعر :



مَنْ عِنْدَ الْكَافِرِينَ وَلَا ** يَتَمَخَّطِرُ⁽¹⁵⁾ فِي أَزْفَاقِ ثَوْنَسْ

دَارَتْهُمْ يَا مَنَّا أَبْطَلَا ** مَنْ بُرْجِ أَطْوَيْلِ كِي أَمَقَّوَسْ

تَتَعَجَّبُ فِيهِ زَيْنُ الطُّوَلَا ** مَطْرَقُ فَضَّةٍ جَدِيدِ خَالَصْ

بعدها يبين الشاعر كيف أنّ ابنة الملك أرسلت رسولها لعبد الله وهو خارج من قصر أبيها وتستدعيه وتخبره بأنها رأتها في منامها ورأت الجنة والنار، وأنها قد أسلمت، وأشارت عليه بأن يبعث لأصحابه يستقدمهم، فبعث عبد الله بن جعفر كتاباً لاثنيين وعشرين فارساً، نصفهم من بني هاشم، والنصف الآخر من بني مخزوم، وخرج هؤلاء دون علم عقبة بالخبر فغضب واستاء حاله جراء فعلتهم هذه، وتذكر الرواية أنّه لما بلغ عقبة الأمير خبر الرجل الذي ورد بكتاب عبد الله بن جعفر إلى سليمان بن خالد ورافع بن الحارث، فسار إليهما وقال لهما ما هذا الكتاب الذي ورد عليكم من عبد الله ولم تطلعاني عليه، فقالا له منعنا الحياء، من أن نطلعك عليه ...»⁽¹⁶⁾.

لتصور لنا الرواية الشعرية بعد ذلك كيف وصل هؤلاء الفرسان إلى المكان الذي كان قد حدده لهم عبد الله قرب المعلقة. في هذه الأثناء ينتقل بنا الشاعر إلى حدث آخر وهو كشف كاهن الملك عن أمر عبد الله بن جعفر، فيغضب الملك الأكبر ويكلف وزراءه بالبحث عنه داخل بيت ابنته، ولكنهم ما عثروا عليه، فيقول ابن الحرمة سارداً هذه الأحداث :

ذَاكَ السَّحَارِ كِي خَرَجَ بَيَعُوا حَارَ ** وَالْمَلِكُ قَالَ مَا دَرَقَش⁽¹⁷⁾ أَعْلَيْنَا

أَكْشَفَ سَيِّدُ الْمَلَاكِ مَيْلُوا لَبَّارَ ** قَالَ الْعَرَبِيُّ اللَّيُّ أَخْرَجَ مَا زَالَ أَهْنَا

هَآ هُوَ مَدْسُوسٌ عِنْدَ بَنَّتِكَ ذِشِي عَارَ ** مَنْ حِينَ اللَّيِّ خَرَجَ مَا زَالَ هُنَا



نَوَّضُ⁽¹⁸⁾ وَزَّارَهُ شُورَهَا رَاخُوا لِلدَّارِ ** قَالَلَّهُمْ فَرَكْتُو الْقُبَّة بِالرُّكْنَا

دَخَلُوا عِنْدَهَا وَسَيُولُوا ذُوكَ الْفُجَارِ ** قَالُوا مَا كَانَ حَدٍ غَيْرَ أَشَقَيْنَا

وعندما لم يجد الوزراء شيئا في منزل ابنة الملك، يغضب هذا الأخير، ويظن أن المنجم يستهزأ به، ويأمره بالعودة إلى بيت ابنة الملك الأكبر للبحث عنه وإخطاره، وإلا ستكون نهايتك.

فيذهب المنجم إلى بيت ابنة الملك فيجد عبد الله بن جعفر أمامه فيقتله ويخفي جثته داخل تابوت بالمنزل وعندما استبطأ الملك عودة المنجم ينتقل بنفسه إلى بيت ابنته فيسألها عن المنجم فتذكر رؤيته تماماً، فيعتقد الملك أن المنجم هرب خوفاً منه، جراء كذبه عليه واستهزائه به.

بعد ذلك طلبت اليامنة من أبيها أن يرسل الخدم معها للتنزه في البستان فهي في حالة من الضيق والعناء والملل، وألبست عبد الله لباس امرأة حتى يتنكر لهم في زي امرأة إلى أن خرجا خارج المدينة، ويكتشف أمرهما ويعرف أحد الجنود أن أرجل عبد الله بن جعفر ليست لأنثى بل هي لشاب، فأرسل الملك الأكبر جيشاً يقتفي أثرهم ويلحق بهم، ففزعت اليامنة وخافت من جراء ماذا سيحدث لهم.

بَعَثْتُ⁽¹⁹⁾ لِي أَبِيهَا أَغْيِدُوا ** ضَاقَتْ رُوحِي أَوْرَاك⁽²⁰⁾ تَعْرِفْ

أَمْرٍ لِي عَالِبَاتٍ نَعْدُوا ** شُورُ لُبْسَتَانِ يَا لَمَنِفْ

عِنْدَ أَخْرُوجِي الْقَوْمَ شَدُّو ** وَصِي بِلَاك⁽²¹⁾ مَنْ إِنْطُوفْ

عَبْدُ اللَّهِ لَبْسُوه جَهْدُو ** مَثَلُ الْعَلَجَاتِ⁽²²⁾ جَاءَ إِخَالَفْ



عَرَفُو شَيْطَانَ لَحِيتُو مَنْ ذِيْلُ أَحْمَارِ ** خَلَفَ يَا فِي رَأْسِ دِيرُو لَا صَلِينَا

هَذِي مَشِيَتْ أَشْبَابٌ وَتَبَتْ خَزَارُ⁽²³⁾ ** لِلْأُنْثَى مَا تَشْبَهْشُ مُحَالُ الْيَأْمَنَةِ

رَافِعٌ وَأَسْلَيْمَانُ خَرَجُوا كِي لَطِيَارِ ** اِثْنَيْنِ أَوْ عَشْرِينَ كَمَا خَبَرْتُونَا

بعد هذا التصوير ينتقل بنا الشاعر إلى إبراز الجانب البطولي الذي اهتم الشاعر به خاصة وأن القصيدة تنتمي إلى شعر المغازي
إذاً وبعد خروج جيش الاثنين والعشرين، ويقع التصادم بين الجيشين واشتد القتال والتحق بالفرسان العرب ثلاثون فارساً وكثر
الصياح والعيول تكررت النداءات الحربية، وجرح القائد عبد الله بن جعفر في هذه المعركة أحد عشر جرحاً، وفي هذا السياق يقول
الشاعر :

رَقَابُ الْيَأْمَنَةِ أَرْجَعُ شُورُ⁽²⁴⁾ الْكُفَارِ ** ثَمَّةَ لَاحِ الْعِيَاطِ يَشُنُ التَّيْنَنَا

عَبَارُ الْقَوْمِ حَافِي أَمْضِيْبُ نَعْتَ أَصْحَابِ ** دَارُوا لَصَحَابِ كِي أَنْدَهُمُ عَبْدُ اللَّهِ

تَسْمَعُ ضَرْبُ السُّيُوفِ يَلْقَى فِي الرِّقَابِ ** اِكْثَرُ الْغُبَارِ مَنْ أَطْرَادَ الْخِيَالَةِ

وَالدَّرَةُ أَتَقُولُ وَادُ وَزَادُوا فِيهِ أَشْعَابِ ** وَالرُّومُ إِسْنِيدُ كِي أَغْمَارُ⁽²⁵⁾ الْمَنْجَالَةِ



بعد هذه المعركة القوية والتي انتصر فيها فرسان المسلمين على الروم وجنودهم، لتبين لنا الرواية الشعرية كيف أنّ اليامنة لما أخبروها بالنصر فرحت، وسعدت كثيراً، ثم حمدت الله عز وجل على هذا النصر.

فَرَحَتْ بَنَتْ الْمُلُوكَ مَنْ بَعْدَ التَّشَقُّبِ^(٢٧) ** الْحَمْدُ لِلْكَرِيمِ رَبِّي تَعَالَى

مَا بِهِمْ لَيْشَ خَالْقِي وَالرُّومُ أَلْغَابٌ ** هَذِي مُعْجَزَاتُ مُوَلِّ الرِّسَالَةِ

فمن خلال هذا كله ندرك مدى عظمة عبد الله بن جعفر وكيف استطاع بأنفته وبطولته أن يتغلب على جيش الروم، ولم يكتفِ بهذا بل ظفر أيضاً بزواجه من ابنة الملك الأكبر.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ أستاذنا الدكتور الباحث عبد الحميد بورايو قد أشار إلى هذه القصيدة وعرضها في تحليله للمغازي البطولية ضمن كتابه الموسوم بالقصص الشعبي بمنطقة بسكرة⁽²⁷⁾ دراسة ميدانية، فهذا وإن دلّ فإنما يدل على شيوع وانتشار شعر الشيخ أحمد ابن الحرمة حتى في مناطق الصحراء العسكرية ويرويه الرواة في الأسواق والمناسبات حسب ما ذكره ذات الباحث كما نستنتج أيضاً من خلال هذا الانتشار والشيوع أنّ للصحراء مكان الصدارة في انتشار قصص البطولة على وجه العموم وذات الصبغة الدينية على وجه أخص.

والذي دعا أيضاً إلى انتشار قصائد ابن الحرمة البطولية، هو صداها العميق لدى سكان الصحراء والبدو، كونها تتجاوب مع فطرتهم البسيطة المتسمة بالبداءة واليسر.

وما يلاحظه الدارس لقصيدة (صلوا صلوا على النبي بن يمينه) والتي تندرج ضمن شعر المغازي والبطولة الذي تظهر فيه النزعة التاريخية واضحة وجلية، فنجد الشاعر يهتم بتحديد زمن حدوث الوقائع، وكذا ذكر الأشخاص وقادة المعارك وتعداد عدد الجيوش من الجانبين هذه النزعة ما هي إلا قاعدة لبناء خيالي تلعب فيه الخوارق دوراً كبيراً، بيد أنّ القصص البطولي أو المغازي بوجه عام " يعد أبطالها أبطالاً حقيقيين وليسوا أسطوريين كما هو متعارف عليه لدى اليونان وغيرهم "(28).

وهكذا ف شعر المغازي الذي برع فيه شاعرنا، يصور من خلاله الهمم العالية التي اشتهر بها أمجاد هذه الأمة وعظماؤها البواسل الذين بقي التاريخ ولا يزال وسبقه يذكر بطولاتهم ويعدها للأجيال.

والملاحظ عن القصيدة السالفة الذكر أنها تضمنت بُعداً آخر غير البطولة وهو إبراز الحالة المزجية التي عاشها الشعب الجزائري أيام تواجد الاستعمار الفرنسي، على أرضه. فالدكتور ركيبي يرى أنّ الواقع الذي عاشه الشاعر كان يلح عليه استنهاض الهمم من خلال التذكير بهذا التاريخ الحافل بالأجداد... «(29)».

وانطلاقاً من كل هذا نقول إنّ شعر المغازي أو شعر البطولة يستقي مادته الشعرية ويقتبس صورها وآلياتها من التاريخ الإسلامي، بل يمكن أيضاً للشاعر أن يعتمد على المخيلة الشعرية في بناء قصائده.

وفي سياق آخر نقول أن ابن الحرمة نظم أيضاً قصائد في شعر المغازي صور فيها مشاهد الفتح الإسلامي للمغرب، كما ضمنها الحديث عن بطولات الفاتحين الذين كانوا مثلاً وقدوة للبطولة والشجاعة والإقدام، هذه القصيدة الموسومة بـ (صلوا صلوا على الهاشمي زين اللبسة) والتي يرى الدارس أنّ الشاعر افتتحها كعادته بالصلاة على النبي والسلام عليه، ثم يسرد الحديث على الخلفاء الراشدين، طالباً الرضى في ذات الوقت على المجاهدين الذين رافقوا عقبة وأزروه في الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا دون أن ينسى البطل عبد الله بن جعفر الذي يمثل في رأيه رمز البطولة والبسالة والإقدام فهو المجاهد الصندي والمقاتل العنيد وهو الدرع الواقي والحصن الحامي للإسلام من كيد الروم وجنوده.

فهو يقول في هذا السياق :

صَلُّوا عَلَى الْهَاشِمِيِّ زَيْنَ اللَّبْسَةِ ** مُحَمَّدٌ وَأَرْضُوهَا عَلَى الْعَشْرَةِ الْأَعْيَانِ

بُو بَكْرُ الصَّدِيقِ وَأَعْمَرُ لَا تُنْسَى ** عَلِيٌّ وَعَلَالُ رَغَابِ السَّرْحَانِ

فِيهِمْ عَزُّوا الشَّابَّابَ يَزْدُمُ⁽³⁰⁾ الْعَسَى ** عَبْدُ اللَّهِ بَنُ خُو عَلِيٍّ ضَدَّ الْعَدِيَّانِ

مَنْ بَرَّ السُّودَانَ لِلْمَغْرِبِ لَقَصَى ** طَوَّعَهَا مَنَاد⁽³¹⁾ كَسَّارِ الصُّلْبَانِ

أَجْنُودَ الْعَدْيَانِ مَنُوحًا مَحْسُوسِي ** مَوْتَ أَعْلُوجِ الرُّومِ عِنْدَ كِيِّ الذَّبَانِ

دَهَشَ⁽³²⁾ قَوْمَ الرُّومِ رَاخُو فِي الْخَسَى ** مَنْ ضَرَبَ خَلَاهُ⁽³³⁾ رَاقِدَ⁽³⁴⁾ فِي الْمِيدَانِ

صَهَّارَ⁽³⁵⁾ الْعَدْيَانِ مَنُوحًا تَتَوَاصَى ** حَرَّمَ نَوْمَ الْعَيْنِ عَنْ جَيْشِ الْخَزْيَانِ⁽³⁶⁾

وهكذا ومن خلال القصيدة سالفة الذكر نجد ابن الحرمة يبرز شجاعة البطل عبد الله بن جعفر وكيف استطاع بجيشه التغلب عليهم والقضاء على جبروتهم وتسلطهم.

ليختم قصيدته وكعادته بتوسله المفعم بالحب والتعلق بالشيخ عبد القادر الجيلاني، من خلال هذا إلى رفع الغبن عنه.

يَا جُلُولَ أَرْوَاحِلِي⁽³⁷⁾ فَوْقَ السَّلْسَى⁽³⁸⁾ ** اللَّيِّ صَيَّفَتْهَا أَحْمَرُ مَنْ بَنَى نِعْمَانَ⁽³⁹⁾

ومن شعره المتضمن، حديثه عن بطولات الفاتحين أيضاً قصيدته : (صلوا على النبي يا ناس) التي يصور فيها هي الأخرى جانباً من جوانب الكفاح ضد جيوش الروم. وللإشارة فهذه القصيدة تضمنت نفس المشاهد والأحداث التي نجد ابن الحرمة قد تناولها وتكلم عنها في قصيدته (صلوا صلوا على النبي بن يمينه)، غير أنّ الجديد فيها يكمن في بروز تداعيات التصوير الثري بقوة وجلاء.

الهوامش:

¹. المغازي : شكل قصصي ينشده الرواة المحترفون، ويؤدى أداءاً درامياً يطلق على رواته راسم " غزوات " و " غزوي " ومفردها " غزوة "، وهو يتناول وقائع الفتوحات الإسلامية ويتغنى الرواة بطولات الفاتحين ... وقد إنتشر هذا اللون إنتشاراً واسعاً في الجزائر إبان فترة الإحتلال (للتوسع ينظر : عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983، ص 07 - 08).

- (2). نبيلة إبراهيم، سيرة ذات المهمة، دار الكتاب العربي للطبع والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص 26.
- (3). هذه القصيدة منحت لنا من قبل الأستاذ الباحث بشير بديار وهو من الباحثين في حقل التراث الشعبي بالأغواط.
- (4). في 27 هـ / 647 م قام العرب بأول حملة على إفريقيا في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه بقيادة أخيه من الأم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومن الذين حضروا من بني هاشم (عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عباس، عبد الله بن طلحة، عبد الله بن أبي بكر، عبد الله بن عمر، عبد الله بن زيد بن الخطاب، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر بن العاص وعقبة بن نافع، وللتوسع أكثر حول قيادة عبد الله بن جعفر للمعارك في فترة الفتوحات الإسلامية يُنظر : (النويري شهاب الدين : نهاية العرب في فنون الأدب، ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار المغرب ج1، فتوح البلدان للبلاذري، المغازي للواقدي، ففي هذه الكتب حديث عن قيادة عبد الله بن جعفر لمعارك الفتوحات بشمال إفريقيا.
- (5). المير : الأمير.
- (6). خلينا : تركنا.
- (7). كمنا : ظن.
- (8). يرتو : رسالة.
- (9). شور : نحو أو باتجاه.
- (10). قرب : رحبوا به.
- (11). يشير : فتى.
- (12). يهدر : يتكلم.
- (13). ياسر : كثير.
- (14). قناروا : عمامة في وسطها طربوش.
- (15). يتمخطر : يمشي في مرج.
- (16). للتفصيل ينظر : (عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983، ص 80).
- (17). ما درقش : لا تخفي.
- (18). نوض : أرسل.
- (19). بعثت : أرسلت.
- (20). أورك : وإنك.
- (21). بلاك : إحذر.
- (22). العلجات : البنات.
- (23). حزار : مدقق النظر.
- (24). شور : إتجاه.
- (25). أغمار : القمح المحصود.
- (26). التشقاب : الحزن والقلق.
- (27). للتوسع أكثر ينظر عبد الحميد بورايو، المصدر السابق، ص 77 إلى 85.
- (28). لبلى رزلين قریش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل الغربي (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر)، 1980، ص 93.
- (29). عبد الله ركيبي، مرجع سبق ذكره، ص 240.
- (30). يزدم : يهجم.

(31). مناد : سيدنا جعفر بن عبد الله.

(32). دهش : أتعب.

(33). خلّاه : تركه.

(34). راقد : نائم.

(35). صهار : يجعلهم يسهرون الليل.

(36). الخزيان : الأعداء.

(37). أرواحلي : تعالى إلیا.

(38). السلسی : الفرس.

(39). بن نعمان : ورد أحمر اللون.

